

وَيُمْكِّنُ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ الْخَارِجَةِ عَنْ عَادَةِ الْبَشَرِ. وَأَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَجِيبُ دَعْوَاتِهِ وَيُهْلِكُ أَعْدَاءَهُ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ مِنْهُ نَفْسِهِ، بَلْ تَارَةً بَدْعَائِهِ، وَتَارَةً يَسْتَأْصِلُهُمْ سَبْحَانَهُ مِنْ غَيْرِ دَعَاءٍ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ سَأَلَهُ إِيَّاهَا، وَيَعِدُّهُ كُلَّ وَعْدٍ جَمِيلٍ، ثُمَّ يُنْجِزُ لَهُ وَعْدَهُ عَلَى أَتَمِّ الْوَجْهِ وَأَهْنَأِهَا وَأَكْمَلِهَا. هَذَا وَهُوَ عِنْدَكُمْ فِي غَايَةِ الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ وَالظُّلْمِ فَانَّهُ لَا أَكْذِبَ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا أَظْلَمَ مِمَّنْ أَبْطَلَ شُرَائِعَ أَنْبِيَائِهِ وَرَسَلَهُ، وَسَعَى فِي رَفْعِهَا مِنَ الْأَرْضِ وَتَبْدِيلِهَا بِمَا يَرِيدُ هُوَ، وَقَتْلِ أَوْلِيَائِهِ وَحَزْبِهِ وَأَتْبَاعِ رَسَلِهِ، وَاسْتَمَرَّتْ نَصْرَتُهُ عَلَيْهِمْ دَائِمًا، وَاللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَعِزُّهُ وَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ بِالْيَمِينِ وَلَا يَقْطَعُ مِنْهُ الْوَتِينَ. وَهُوَ يَخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا أَظْلَمَ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيْهِ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَمَنْ قَال: سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَيُلْزِمُكُمْ مَعَاشِرَ مَنْ كَذَّبَهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْهُمَا: إِمَّا أَنْ تَقُولُوا لَا صَانِعَ لِلْعَالَمِ وَلَا مَدْبِرَ، وَلَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ مَدْبِرٌ قَدِيرٌ حَكِيمٌ لَأَخَذَ عَلَى يَدَيْهِ وَقَابَلَهُ أَعْظَمَ مَقَابَلَةً، وَجَعَلَهُ نِكَالًا لِلظَّالِمِينَ، إِذْ لَا يَلِيقُ بِالْمَلُوكِ غَيْرُ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَلِكِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟ الثَّانِي: نِسْبَةُ الرَّبِّ تَعَالَى إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْجَوْرِ وَالسُّفْهِ وَالظُّلْمِ وَإِضْلَالِ الْخَلْقِ دَائِمًا أَبَدَ الْأَبَادِ، وَنَصْرَةِ الْكَاذِبِ وَالتَّمَكِينِ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَإِجَابَتِهِ دَعْوَاتِهِ، وَقِيَامِ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَاتِهِ دَائِمًا، وَإِظْهَارِ دَعْوَتِهِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالنَّبُوءَةِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ وَنَادٍ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ فِعْلِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ؟ فَلَقَدْ قَدَحْتُمْ فِي رَبِّ الْعَالَمِينَ أَعْظَمَ قَدْحٍ، وَطَعْتُمْ فِيهِ أَشَدَّ طَعْنٍ، وَأَنْكَرْتُمُوهُ بِالْكَلِيَّةِ، وَنَحْنُ لَا نَنْكُرُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكَذَّابِينَ قَامَ فِي الْوُجُودِ وَظَهَرَتْ لَهُ شَوْكَةٌ، وَلَكِنْ لَمْ يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ بَلْ يَسْلُطُ عَلَيْهِ رَسَلُهُ وَأَتْبَاعُهُ، فَيَمْحَقُونَ أَثْرَهُ وَيَقْطَعُونَ دَابِرَهُ وَيَسْتَأْصِلُونَ شَافَتَهُ، هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ مِنْذُ قَامَتِ الدُّنْيَا وَإِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.